ملامح الإعجاز في لغة القرآن الكريم

Miraculous features in the Qur'anic language

د. يسمينة قوادري♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-028-001-022

تاريخ الإرسال: 2024/10/02 تاريخ القبــول: 28 / 07/ 2025 تاريخ النشر: 2026/03/15

ملخّص: لغة القرآن الكريم حقل خصب للتأمل والدّراسة لما تتميز به من خصائص، وعلى هذا الأساس يتناول بحثنا موضوع الإعجاز في لغة القرآن الكريم، نسعى من خلاله لتسليط الضّوء على عدد من الملامح اللّغوية والعلميّة التي تتميّز بها هذه اللغة التي لا تزال تنكشف لنا مكنوناتها يوما بعد يوم لاسيما العلميّة منها، واتّضح لنا بعد البحث المعمق أن لغة القرآن الكريم حملت مظاهر لغويّة تجديديّة حيّرت العرب قديما أمّا في زماننا هذا حيث التطور العلميّ والرقميّ الهائل فقد تجلت مظاهر إعجازيّة أخرى تثبت علميّة هذه اللّغة ودقّتها اللامتناهية.

كلمات مفتاحية: الإعجاز القرآني؛ لغة القرآن الكريم؛ اللغة العربية.

Abstract: The language of the Holy Qur'an is a fertile field for study and reflection as it has distinguished characteristics, thus the subject of our research deals with the miracles in the Qur'anic language. Through this paper, we seek to shed light on a number of linguistic and scientific

♥ جامعة أمحمد بوقرة بومرداس.

البريد الإلكتروني: kouadri.yasmina@yahoo.fr (المؤلف المرسل).

features of this language, whose treasures are still appearing day after day, especially scientific ones. After a deep research, we concluded that the Holy Qur'an contained innovative linguistic facts that have long baffled Arabs in the past, However, In our present time, which is characterized by the great scientific and digital progress, other miraculous features are shown up and prove the scientific aspect and the endless accuracy of this language.

Keywords: Qur'anic miracle, Qur'anic language, Arabic.

1. مقدّمة: نزل القرآن الكريم على قلب نبيّنا مُحّمد صلّى الله عليه وسلّم «**بلِسانٍ عربيٍّ مُبينٍ**»، فهو كلام الله المعجِزُ بألفاظه ومعانيه الذي لا تُضاهيه فصاحة الفُصحاء ولا تُجاريه بلاغة البُلغاء، ورغم أن اللّغة العربيّة وُجِدت قبل نزول الوحي المبارك إلا أن القرآن الكريم بثّ فيها نفَسا جديدا وزادها معاني وصيغا وعبارات جديدة لم تعهدها العرب سابقا، وكشف القرآن الكريم عن وجه آخر للّغة العربيّة تنمّ عن عظمة القائل عزّ وجلّ، وجه ملؤه الدِّقّة والعقلانيّة والبلاغة والبيان فلا ترى فيه اعوجاجا ولا لبسا ولا تناقضا وتلكم هي ملامح الإعجاز في القرآن الكريم التي جعلته حُجّةً يُقِرُّ بها كلُّ لبيب عاقل ولا ينكرها إلا جاحد أو جاهل والدّراسة الموضوعيّة للغة القرآن الكريم تُظهر ملامح الإعجاز فيها وذلكم هو موضوعُ بحثنا ولتكن الإشكالية التي نبني عليها دراستنا كما يلي:

ما هي ملامح الإعجاز في لغة القرآن الكريم أو بعبارة أخرى ما هي السّمات اللغوية والبلاغيّة الإعجازيّة التي بثّها القرآن الكريم في اللّغة العربيّة.

ولكن قبل الحديث على تلكم الملامح لابد من ضبط المفاهيم وتحديد معنى الإعجاز في لغة القرآن، كما ينبغي التفريق بينه وبين العبقرية البشرية.

2. لغة القرآن الكريم إعجاز أم عبقرية: يبدع البشر في الكثير من المجالات الدنيوية ويتفوقون على من عاصرهم من نظرائهم ويتجاوزون من سبقهم بأشواط عديدة فيقال فلان سابق لزمانه وفلان عبقري وعمل عبقري لأنه تعدى حدود المقدرة التي ألفها الناس.

بيد أن عبقرية البشر يمكن أن يؤتى بمثلها أو بخير منها ولو بعد حين ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه لا يوجد على وجه البسيطة من يجاريه ففوق كل ذي علم عليم ولقد أثبت التاريخ على مر العصور هذه الحقيقة.

كذلك هي الحال عند العرب الذين بلغوا من اللغة العربية شأوا عظيما فراحوا يتفننون في شعرهم ونثرهم، وكانت لهم مقدرة عجيبة على النظم والتأليف فكانوا يستشعرون كل نشاز ويتذوقون كل بيان، طوعوا اللغة العربية فطاعت ولانت لهم كما تلين العجين في اليدين فكانت رمز قوتهم ومصدر فخرهم.**"فكم هناك من عباقرة وأقلام وألسنة وعقول سحرت العالم بإبداعاتها وحيرت النفوس بفنها، فكان أن وصفت بكل صفة ولكن ليس بصفة الإعجاز"** (ساعي 2012م، صفحة 25).

وإذا كانت العبقرية البشرية آنية فالإعجاز القرآني لا يقترن بزمان ولا يقتصر على مكان كما يقول مصطفى صادق الرافعي: "**إنما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجز ومزاولته على شدة الإنسان وعنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت**". (الرافعي، 2022م صفحة 91).

فضلا عن المعاني العظيمة والغيبيات والحكم والعبر والتشريع والحقائق العلمية التي يتضمنها القرآن الكريم والتي لا تزال تتكشف لأهل العلم يوما بعد يوم فلغة القرآن في حد ذاتها معجزة، حتى إن الوليد بن المغيرة الذي كان

أفصح سادة قريش حينما تلا عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام آيات من القرآن الكريم كانت ردة فعله عجيبة رغم كفره إذ توجه إلى قومه قائلا:

"والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي نقول شيئا من هذا، إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر" (ساعي، 2012م صفحة 33).

أليس من الإعجاز أن يقف أحد أساطين النقد عاجزا إزاءه وأن تعجز كل ضروب النظم والتأليف أن تكتنفه أو تحتويه، لغة القرآن أرفع من أن تكون مجرد نثر وأسمى من أن تكون مجرد شعر مقفى إنها وباختصار كلام رب البشر عز وجل.

فالعبقرية غير الإعجاز لأنها مقترنة بالبشر أما الإعجاز فهو يتعلق بما يعجز البشر على الإتيان بمثله، والقرآن الكريم كلام الله عز وجل وحجة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. "والإعجاز يعني التحدي مع العجز وإن القرآن الكريم تحدى الأقوياء قوة القول وقوة الفعل، القادرين قدرة البدن وقدرة العقل هؤلاء الذين قالوا: ﴿**"وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ **(الآية 31من سورة** الأنفال) ولا معنى لتحدي الضعفاء الذين لا بيان لهم ولا قوة لهم." (ساسي، 2003م صفحة 32).

ودليل إعجازه فشل كل الناطقين بالعربية ممن أوتوا من الفصاحة والبيان قدرا كبيرا على مر الأزمان أمام تحدي الله لهم على الإتيان بمثله أو حتى بسورة من مثله منذ نزول الوحي إلى يومنا هذا:

- ✓ **" فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ" (الطور: 34).**

✓ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (سورة هود: 13).**

✓ **" أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (يونس: 38).**

✓ **"وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {23} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ" (سورة البقرة: 23).**

عجز الفصحاء والبلغاء السابقون واللاحقون على الإتيان بسورة تماثل طوال أو قصار سور القرآن الكريم ولم يقدروا على الإتيان بما يشبه سورة العصر ولا حتى سورة الكوثر "لأن لغة القرآن الكريم معجزة بحروفها وألفاظها ومعانيها وتراكيبها.

"**ثم إن آيات التحدي ظلت مسجلة في كتاب الله تعالى تقرع آذان الأدباء والشعراء والبلغاء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم في كل عصر وقرن فما استطاع واحد فيهم مهما كان عصره وتاريخه أن يسجل إلى جانب هذا التحدي عملا ما يصح أن يقال أنه قد عارض به القرآن فأتى بشيء حسن وهذا من الأدلة الملموسة على ثبوت وصف الإعجاز للقرآن الكريم**" (ساسي 2003م، صفحة 28).

3. أوجه الإعجاز في لغة القرآن الكريم: إنّ الإعجاز صفة لازمة من صفات القرآن الكريم وله أوجه كثيرة، منها ما يتعلق بالحقائق العلمية ومنها ما يتعلق بالغيبيات ومنها ما يتعلق بالسرد القصصي ومنها ما يتعلق بالتشريع ومنها ما يتعلق باللغة فيقال: إعجاز علمي وإعجاز بلاغي وإعجاز عددي وإعجاز تشريعي وإعجاز بياني...إلخ مسميات عديدة وتصنيفات كثيرة ومؤلفات غزيرة من زمن الجاحظ في مؤلفه "**نظم القرآن**" إلى الدراسات المختلفة التي

تجرى في وقتنا الراهن والتي تعكس مدى فضول الإنسان ورغبته الشديدة في سبر أغوار هذا الكتاب العظيم واكتشاف مكنوناته التي لا تنضب كما يقول الرافعي :" ***ما أشبه القرآن الكريم*** **في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون، الذي اكتشفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقا جديدا ومراما بعيدا وصعبا شديدا وإنما بلغوا منه إذ بلغوا منه نزرا قليلا.**" (الرافعي، 2022م، الصفحات 91-92) فما أجريت دراسة أو مقاربة على جانب من جوانب القرآن الكريم إلا وأفضت عن وجود جانب إعجازي فيه.

وقد ذكر السيوطي في كتاب "الإتقان في علوم القرآن" بعض أوجه الإعجاز على لسان ابن سراقة:

" اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن الكريم فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءا واحداً من عشر معشاره:

- فقال قوم: هو **الإيجاز مع البلاغة؛**
- وقال آخرون: هو **البيان والفصاحة؛**
- وقال آخرون: هو **الرصف والنظم؛**
- وقال آخرون: **هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب** من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه من كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذلك قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر متميز عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان بذلك أبلغ دلالة على الإعجاز" (السيوطي، 2017م، صفحة 489).

فلغة القرآن لغة تجتمع فيها الدقة مع الإيجاز والإيجاز مع الإطناب والبيان مع الفصاحة والرصف والنظم والحكمة مع البلاغة فضلا عن حقائق علمية ومكنونات تتجلى يوما بعد.

4. سمات بلاغية إعجازية في لغة القرآن الكريم:

1.4 فصاحة لا تجارى وبلاغة لا تبارى: أطلقت على القرآن الكريم أحكام بشرية كثيرة ووسم بصفات عديدة أولاها: الفصاحة والبلاغة.

و"**الفصاحة في اللغة الخلوص والنقاء من الشوائب وهذه الدلالة تعم مفردات المادة اللغوية وتتنوع بحسب استعمالاتها، فاللبن الفصيح ذهاب اللبأ عنه وكثرة محضه وذهاب رغوته والكلام الفصيح هو الكلام العربي الخالص من العجمة وفصيح فصاحة أي انطلق لسانه في القول عارفا جيد الكلام من رديئه**" (كواز، 2006م، صفحة 57).

وما يميز لغة القرآن فصاحتها اللامتناهية فلا ترى فيها اعوجاجا وكل عنصر لغوي يؤدي الدور المنوط به دون تكلف، والقرآن الكريم مرجع اللغويين وقبلة النحاة لتصويب أخطائهم وإثبات حججهم وشاهد على سلامة القول وخلوه من الشوائب من أي نشاز يعكر صفو اللغة العربية.

والرأي أن القرآن جاء في الفصاحة بالدرجة التي لا تبارى وهو المعجزة لكل الأمم ولكل العصور فإذا كان العرب الذين ملكوا ناصية البيان قد عجزوا عن الإتيان بمثله فغيرهم أعجز " (ساسي، 2003م، صفحة 26).

بل إن فصاحة لغة القرآن الكريم فصاحة تعلو فصاحة التوراة والإنجيل لأن الله عز وجل خص القرآن الكريم بهذه السمة الإعجازية لعل الله أراد أن يضع بين يدي النصارى واليهود من العرب والعجم كتابا أعظم وأجل بلغة أفصح وأكرم لتهتدي قلوبهم وعقولهم فيدينوا بدين الإسلام."**إن القرآن وحده معجز دون غيره من الكتب السماوية ، لأنها لا تدل على أنفسها إلا بأمر زائد**

ووصف مضاف إليها لأن نظمها ليس معجزا وإن كان ما يتضمنه من الأخبار عن الغيوب معجزا وليس كذلك القرآن الكريم لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز" (ساسي، 2003م، صفحة 26) ورغم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب إلا أن نظمه غير نظمهم واستعماله للحروف والألفاظ يفوق استعمالهم فكان أبلغ ما نطقت به العربية ويصف السيوطي بلاغة لغة القرآن في كتاب الإتقان قائلا:**"فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب".**

والبلاغة كما جاء في كتاب "الكليات للعلامة أبي البقاء الكفوي" **هِيَ التَّعْبِير عَن الْمَعْنى الصَّحِيح لما طابقه من اللَّفْظ الرَّائِق من غير مزِيد على الْمَقْصد وَلَا انتقاص عَنهُ فِي الْبَيَان، فعلى هَذَا فَكلما ازْدَادَ الْكَلَام فِي الْمُطَابقَة للمعنى وَشرف الْأَلْفَاظ ورونق الْمعَانِي والتجنب عَن الركيك المستغث كَانَ بلاغته أَزِيد"** (الكفوي، 1837م، صفحة 95).

أي إن البليغ من القول هو ما جمع بين فصاحة اللفظ وتأدية المعنى فلا تنقص فصاحة لفظه من بلاغته بل يزداد رونقه ويحسن أسلوبه وتتقوى معانيه وقد عدد الكفوي بعض المعايير التي على أساسها يوسم الكلم بالفصاحة كالآتي:

- ✓ **خلوصه من تنافر الحروف؛**
- ✓ **خلوصه من الغرابة؛**
- ✓ **خلوصه من مخالفة القياس؛**
- ✓ **خلوصه من ضعف التأليف؛**
- ✓ **خلوصه من التعقيد؛**
- ✓ **خلوصه من كثرة التكرار؛**

✓ **خلوصه من تتابع الإضافات** (الكفوي، 1837م، صفحة 95).

أما فطاحلة وجهابذة الشعر العرب على نبوغهم وبلاغتهم وفصاحتهم فقد خالط كلامهم تنافر اللفظ والتعقيد وكثرة التكرار والإضافات وضعف التأليف وها هي ذي بعض الألفاظ المتنافرة والغريبة والمخالفة للقياس من كلامهم:

❖ **قال امرؤ القيس:**

رُبَّ جَفنةٍ مُثْعَنْجِرَة، وطعنةٍ مُسْحَنْفِرة، وخطبةٍ مُستحضَرة، وقصيدة مُحبرة تبقى غدًا بأنقرة — أكلت العرين، وشربت الصُّمادح إني إذا أنشدت لأحبَنْطَى نزل بزيد داهية خنْفيق، وحل به عنْقَفِير لم يجد منها مَخلصًا. رأيت ماء نُقاحًا ينباع من سفح جبل شامخ، إخال إنك **مَصْوُون** — البُعاق ملأ الجرْدَحْل. (الهاشمي 2017م، الصفحات 15–16).

❖ **وقال الشاعر:**

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب حرب قبر

لا يرى في القرآن مثل هذا التنافر في الألفاظ ولا نحو "عخعخ" و"هعجع" فيصعب نطقها على اللسان أو تستهجنها الأذن بل إن حروفه مرنة لينة يسيرة على اللسان منسجمة مع بعضها مشدودة شد البنيان كما قال تعالى في سورة القمر ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ "**الآية (17)**"، ولا هي معقدة تقتضي بحثا كثيرا مضنيا إنما هي لغة بسيطة الأسلوب تطرق العقول والقلوب بلا تكلف من سورة الفاتحة إلى سورة الناس بخطاب بين صريح واضح،

❖ فحينما يتعلق الأمر بخطاب عام يتوجه الله تعالى إلى الناس جميعا كما في سورة الحجرات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ **(13)**.

❖ وحينما يتعلق بفئة خاصة يخصها بالقول كما في سورة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ **(59)**.

❖ وكما في سورة البقرة الآية 282: ﴿**أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ...**﴾.

ومن المعلوم أن أكثر من يحفظون القرآن الكريم عجم لا يحسنون اللغة العربية بل لا يفهمونها أصلا كما هو الشأن في أندونيسيا ومسلمي الروهينغا والشيشان وغيرهم ولكن حينما يتعلق بلغة القرآن ترى ألسنتهم تنطلق بشكل عجيب وذاك إن دل على شيء فإنما يدل على يسر لغة القرآن الكريم على الناطقين بالعربية وعلى غير الناطقين بها كما قال تعالى في سورة مريم ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا**﴾. **الآية 97** وهنا تتجلى حكمة ربانية تعكس عدل الخالق وتثبت بالدليل المادي أن هذا الكتاب الكريم معجزة أريد به هداية الناس جميعا مهما اختلفت ألسنتهم إلى الصراط السوي.

من خلال قراءاتنا المتواضعة لاحظنا أن الدراسات السابقة التي انكبت على الخوض في موضوع الإعجاز ركزت على الجانب البلاغي منه كما يوجزه الكفوي في كتاب الكليات بقوله: "**إعجاز القرآن ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوقها البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح**" (الكفوي، 1837م، صفحة 61)، أما نحن فنقول إذا كانت الفصاحة والبلاغة أقصى ما يمكن أن يوصف به قول فلغة القرآن الكريم أحق وأجدر أن توصف بهما.

2.4 جدة ألفاظه مع وضوح معانيها: ومن العجيب أيضا أن القرآن الكريم تضمن ألفاظا جديدة لم تعهدها العرب غير أنهم فهموها دون عناء ذلك أن الأسلوب القرآني بطريقة نظمه وإحكام بنائه يجعل اللفظ مفهوما من سياقه ومن هذه الألفاظ كما جاء في كتاب المعجزة (ساعي، 2012م صفحة 101):

1) **القرآن:** ورد هذا اللفظ سبعين مرة

❖ **﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الآية9.**

❖ **﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾.**

2) **الآية:** ورد هذا اللفظ مفردا أو جمعا أو مثنى وبمعانيه المختلفة ومنها آية القرآن الكريم والمعجزة والعلامة 382مرة.

❖ **﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [106].**

❖ **﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [118].**

3) السورة: ورد هذا اللفظ مفردا أو جميعا عشر مرات، منها ما جاء في هاتين الآيتين الكريمتين:

❖ **﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النور1.**

❖ **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: 23.**

4) **يتلو تلاوة:** يتكرر الفعل "**يتلو**" بمشتقاته المتعددة 62 مرة، من ذلك قوله تعالى:

- ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا..**﴾.
- ﴿**الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِه**﴾.
- ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ] سورة الجمعة**﴾: **الآية2**.

وفي استخدام القرآن لهذا اللفظ المبتكر الدقيق دلالة منهجية موضوعية قوية لأصل القرآن السماوي، فهذا الفعل ليس من صنع رسول الله صلى الله عيه وسلم ولا من تأليفه فقد كان الرسول "**تاليا**" أي "**ثانيا**" أو "**لاحقا**" بهذه الآيات عكس أولا أو سابقا إذ قرأها عليه جبريل أولا ثم تلاه محمد صلى الله عليه وسلم في قراءتها على المسلمين. (ساعي، 2012م، صفحة 102).

مكمن الإعجاز في هذه الألفاظ القرآنية وغيرها جدة معانيها فعلى الرغم من أنها كلمات عربية ولا تخرج عن حروفها ولا عن أوزانها إلا أن العرب لم يألفوها ولم تجر بها ألسنتهم وهو دليل مادي آخر على أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام بشر.

كما جاء في القرآن الكريم ألفاظ عربية أصيلة بمعان جديدة، وقد لفت أحمد بسام ساعي صاحب كتاب "**المعجزة**" الانتباه إلى ظواهر التجديد في لغة القرآن الكريم ويرى أن مكمن الإعجاز ليس في بلاغة القرآن الكريم لأنها أمر نسبي بل في تجاوز القرآن الكريم اللغة العربية وقفزه فوق محدودية ألفاظها وتراكيبها وسبائكها وصورها وعلاقاتها اللغوية، ومن تلك الظواهر:

- **استخدام الفعل الناقص "كان" بمعنى "إن":**

من المعلوم أن الفعل كان يكون يستعمل للدلالة على الحالة في الزمن الماضي غير أنه في القرآن الكريم حصرا يتحرر من الزمن الماضي ويسحب

على الحاضر والمستقبل كما جاء في سورة الإخلاص: ﴿**ولم يكن له كفؤا أحد**﴾ وفي سورة النساء: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا النساء**﴾: **الآية 96** وفي سورة الإسراء: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾: **الآية 53** و"**لقد تكرر هذا الاستعمال الجديد في القرآن ما لا يقل عن 190 مرة ومع ذلك فلا وجود لهذا الفعل مطلقا، بمعناه القرآني الجديد، خارج القرآن حتى اليوم لا نستثني من ذلك الحديث الشريف.**" (ساعي، 2012م، صفحة 37).

•استخدام جديد للفعل لازال– لا يزال:

انتبه أحمد ساعي إلى اختلاف الاستخدام القرآني عن استخدام البشرية لهذا الفعل فإذا قلنا: "**مازال المطر ينزل** فهم السامع أنه كان يهطل من قبل وهو مستمر في النزول إلى الآن فالفعل يستغرق الزمنين **الماضي والحاضر** ثم لا يتجاوزهما إلى المستقبل، هذا هو شأننا مع الفعل في استعمالاتنا اليومية ولكن صيغة "مازال" في الآيتين الوحيدتين اللتين ترد فيهما تغطي الزمن الماضي دون الحاضر" (ساعي، 2012م، صفحة 197). كما في قوله تعالى:

﴿**فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾ **.3 الآية 15 من سورة الأنبياء.**

﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**﴾ **الآية 34 من سورة غافر.**

أما صيغة المضارع في الاستعمال القرآني فإنها تستغرق الماضي والحاضر والمستقبل معا.

3.4 قوة التصوير البياني: ما يلفت الانتباه في لغة القرآن قوة البيان التي يتميز بها ويتجلى ذلك من خلال الصور البيانية الفنية بشتى أنواعها من استعارة وكناية وتشبيه فتجسد المعاني تجسيدا تجعل القارئ يتصورها في ذهنه

ويتأتى له المنظر نصب عينيه كأنه يراه فينبهر بجماله في مواطن الترغيب ويرتعب من هوله في مواطن الترهيب. "**وهذه الطائفة من الاستعارات تمثل لونا فنيا واحدا بسماتها وتتمثل تلك السمات والملامح في أنها تخرج المعاني بطريقة التصوير الحسية المتخيلة في التعبير عن المعاني الذهنية المجردة والملمح الفني الآخر هو التعبير بالطريقة الحسية المصورة التي تجسد الحالة النفسية فتزيدها حياة وبيانا يقف التعبير الحقيقي دونها عاجزا عن تصويرها**" (الحياني، 2016م). والصور البيانية التي جاءت في القرآن الكريم تحقق غرض الإفهام من خلال تبسيطها وتجسيدها للقارئ بالطريقة التي تناسب طبيعته البشرية من جهة وتعطي المعنى قوة وتزيد الكلام بلاغة من جهة أخرى ولا يمكن أن يستعاض عنها بأسلوب حقيقي لأن ذلك ينقص من قيمتها.

- **نمادج مختارة عن تعابير استعارية قرآنية:**

❖ **التعبير الاستعاري: "سقط في أيديهم"**

قال الله تعالى: ﴿**وَلَمّا سُقِطَ فِي أَيديهِم وَرَأَوا أَنَّهُم قَد ضَلّوا قالوا لَئِن لَم يَرحَمنا رَبُّنا وَيَغفِر لَنا لَنَكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ**﴾ [الأعراف: 149].

صحيح أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب غير أنه تضمن تعابير جديدة لم يألفوها ولم تجر بها ألسنتهم من بينها عبارة "**سقط في أيديهم**" وهي تعبير مجازي قال عنه الزجاجي:

«**سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ: بمعنى نَدمُوا، نظمٌ لم يُسمع قبلَ القرآن، ولَمْ تعرفْهُ العربُ ولَمْ يُوجَدْ ذلك في أشعارِهِم، ويدُلُّ على صحَّةِ ذلك أنَّ شعراء الإسلام لَمَّا سَمِعُوا هذا النَّظْمَ واستعملُوهُ في كلامهم؛ خَفِي عليهم وَجْهُ الاستعمال؛ لأنَّ عادتَهُم لمْ تَجْرِ بِهِ**». (الحنبلي، 2011م، صفحة 2575).

وقوله تعالى: ﴿**ولما سقط في أيديهم**﴾ أي بعد عودة موسى من الميقات. يقال للنادم المتحير: قد سقط في يده. قال الأخفش: يقال سقط في يده، وأسقط. ومن

قال: سقط في أيديهم على بناء الفاعل؛ فالمعنى عنده: سقط الندم؛ قاله الأزهر والنحاس وغيرهما. والندم يكون في القلب، ولكنه ذكر اليد لأنه يقال لمن تحصل على شيء: قد حصل في يده أمر كذا؛ لأن مباشرة الأشياء في الغالب باليد؛ قال الله تعالى: ﴿**ذلك بما قدمت يداك**﴾. (القرطبي، 2019م صفحة 205).

❖ **التعبير الاستعاري: "يقلب كفيه"**

الندم شعور بشري مجرد وإن كان محله في القلب فأثره يظهر جليا في البدن كما جاء في قوله تعالى: **و**﴿**أُحيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلى ما أَنفَقَ فيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُروشِها وَيَقولُ يا لَيتَني لَم أُشرِك بِرَبّي أَحَدًا**﴾. الآية42 من سورة الكهف.

أي شعر بندم شديد بعد أن رأى آية الله نصب عينيه وانعكس ندمه المجرد إلى حركة بشرية أو إلى صورة تجسد تلك الحالة النفسية ألا وهي حركة تقليب اليدين التي لا يفهم منها سوى الندم والحسرة.

❖ **التعبير الاستعاري: "يعض الظالم على يديه"**

قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾: الآية27 من سورة الفرقان يلاحظ في هذا التعبير قوة دلالته على الندم الشديد كما تصور حالة الظالم الذي أبى أن يكون مع الحق وأدرك متأخرا أنه كان على باطل، و"**أن يعض على يديه**" صورة تجسد حالة الندم والأسى التي يشعر بها، ولعل أقصى حالات الندم حينما يدرك المرء أنه خسر كل شيء ولا مجال للأوبة ولا للتوبة، ولو عوضت هذه الصورة البيانية بأسلوب حقيقي لما أوفته حقه ومستحقه ولو أحللنا الصورة السابقة للندم محلها أي **بتقليب الكفين** لما كانت كافية لأن حالة الندم في أقصى درجاتها.

❖ **التعبير الاستعاري: "تكسوا على رؤوسهم"**

﴿قالَ بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم هذا فَاسأَلوهُم إِن كانوا يَنطِقونَ(٦٣) فَرَجَعوا إِلى أَنفُسِهِم فَقالوا إِنَّكُم أَنتُمُ الظّالِمونَ(٦٤) ثُمَّ نُكِسوا عَلى رُءوسِهِم لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ(٦٥)﴾.

جاء في التفسير الوسيط للطنطاوي: وقوله: **(نُكِسُواْ)** فعل مبنى للمجهول من النكس، وهو قلب الشيء من حال إلى حال، وأصله: قلب الشيء بحيث يصير أعلاه أسفله.

وهو تعبير اصطلاحي يؤكد حالة الخضوع والاستسلام عند لزوم الحجة فأخرجتهم الاستعارة بصورة الذي يتردى من فوق إلى أسفل على رأسه. (الحياني، 2016م، صفحة 36).

إن مكمن الإعجاز في التصوير القرآني التجسيد المنطقي للمعاني المجردة وموافقة ذلك التجسيد للطبيعة البشرية الذي تنم على أن المصور أعرف ما يكون بحال البشر كيف لا وهو خالقهم سبحانه وتعالى، والتعابير الاستعارية على قوتها يسهل إدراك معانيها وتجتمع فيها البساطة والقوة والوضوح والعقلانية بصورة تسلب الألباب.

4.4. دقة لا متناهية: تعد الدقة سمة أخرى لا تقل أهمية عن السمات الأخرى من السمات القرآنية الإعجازية، وقد ركز ثلة من أهل العلم عليها فمنهم من انكب على دقة معاني القرآن الكريم ومنهم من ركز على الجانب الرياضي العددي ألفاظ القرآن الكريم.

✓ **أولا: دقة المعاني القرآنية:** اتضح لنا من خلال ما سبق أن القرآن الكريم في منتهى البلاغة وفصاحة اللفظ وقوة البيان ولكن ما هو أعجب أنه مع كل تلك المزايا لم ينتقض في أي آية من آياته مع الدقة بل لازمها، وفي كل مرة يكتشف تفصيل لغوي ما يظهر قصور البشر أمام هذا الكتاب العجيب وتتجلى دقة ربانية، ومن دقته أن لا يستقيم الكلام إن استبدلنا لفظا بما يرادفه

لأن اللفظ الذي انتقاه الله سبحانه وتعالى في كتابه لا يشارك بمعناه فقط بل بحرفه ونظمه وطريقة قراءته.

وينفي اللغويون استنادا إلى القرآن الكريم وجود ظاهرة الترادف ويرون أن الكلمات المشتركة في المعنى وإن كانت تبدو لنا حاملة المعنى ذاته فإنها تختلف في القرآن الكريم في تفاصيلها ولا يمكن أن يستعاض بها للدلالة عما نظنه مرادفا لها، إذ لا وجود للترادف أصلا في لغة القرآن الكريم من ذلك: الأبد والأمد والأجل والحقب والحين العصر والدهر والوقت فكلها ألفاظ تدل على الزمن ولكن لكل واحد دلالته الخاصة في القرآن الكريم.

- **فالأبد:** هو مدة الزمن الطويل الممتد غير المتجزئ.
- **والأجل:** هو مدة الشيء ووقته الذي يحل فيه.
- **والأمد:** هو الغاية.
- **والحقب:** هو المدة الطويلة من الدهر وهو ثمانون عاما.
- و**الحين:** هو الزمان قليله وكثيره.
- **والدهر:** هو مدة الدنيا كلها ويستعار للعادة الباقية مدة الحياة.
- و**العمر:** هو الدهر والحين.
- و**الوقت:** هو الزمان المعلوم والموقوت (القيسي، 2012م، الصفحات 46-47).

✓ **ثانيا: عدم تنافي لغته والحقائق العلمية:** تقسم لغة البشر حسب أسلوبها ومضمونها إلى لغة علمية ولغة أدبية أما اللغة الأدبية فتراعي الشكل وتخاطب العاطفة وأما العلمية فتراعي المضمون وتخاطب العقل ويكون غاية نظمها إيصال الحقيقة العلمية ولا تكون البلاغة غايته، أما الأسلوب القرآني فلا هو أدبي منفصل عن العلم، ولا هو علمي جاف بلا بلاغة، إنما هو أسلوب

متفرد بذاته لا تناقض بلاغته علميته ولا تخالف علميته فصاحته سبحان الله ولنأخذ بعض الأدلة على ذلك:

- **قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة فاطر الآية 12.**

والماء المالح هو ما كان مالحا ثم خلط بملح أما الماء الملح فهو ما خلقه الله مالحا وفي الآية الكريمة وصف دقيق للبحر وفضله بكل دقة وإيجاز.

- **قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾** "سورة يس الآية 40".

تتحدث الآية الكريمة عن ظاهرة تعاقب الليل والنهار وكيف أن لكل جرم "فلكا" أي مدارا يسبح فيه أو يدور فيه.

✓ **ثالثا: الإعجاز العددي:** كثيرا ما نسمع أن القرآن صالح لكل زمان ومكان فقد كان معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا يزال معجزة كل مسلم، وحتى مع التقدم التكنولوجي لا يزال هذا الكتاب يوما بعد يوم يكشف لنا عمّا يخفيه في طياته من حقائق تعجز ذوي العقول الراجحة، فإذا أعجز القرآن قديما أهل البيان هاهو اليوم يعجز أهل العلم والتكنولوجيا الذين يظنون أنهم بلغوا من العلم ما لم يبلغه أحد.

في عصرنا هذا ترقمن كل شيء وصار العالم مصفوفة يعتقد البعض أنهم بامتلاكها امتلكوا العالم والعلم ولكن هيهات وكتاب الله فوق الأرض وآيته تقول: "**وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**"، ودلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم خير دليل على ذلك.

ومن الذين تكلموا عن ظاهرة الإعجاز العددي المهندس عبد الدائم كحيل حيث أطلق عليه اسم "**المعجزة الرقمية**"، "**وتابع رحلته مع مؤلفاته في الإعجاز**

الرقمي معتبرا هذا الوجه من أوجه الإعجاز ضرورة عصرية للدعوة إلى دين الله ويتساءل قائلا: هل يمكن أن يحوي هذا القرآن معجزة رقمية تناسب عصر الأرقام في القرن الواحد والعشرين؟ وهل يمكن لهذه المعجزة أن تقنع رؤوس الإلحاد في عصر العولمة بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى بلغتهم التي يتقنونها جيدا =الأرقام" (جبريل، 2011م، صفحة 109) وأفضت دراسته إلى نتائج مبهرة عن الأرقام في القرآن الكريم نحو الرقم سبعة ومضاعفاته إذ يقول مجيبا عن التساؤل الذي انطلق منه:"**تتجلى أمامنا ولأول مرة حقائق رقمية تثبت بشكل قاطع وجود بناء رقمي لآيات القرآن العظيم، هذا البناء المحكم يقوم على الرقم سبعة ومضاعفاته**". (جبريل، 2011م، صفحة 110) ويذهب المهندس إلى أبعد من ذلك في دراسته ليدرس الغرض من هذا البناء الرقمي وهل يقدر البشر برقمياتهم عليه.

أما عبد الرزاق نوفل فقد درس التساوي بين المثاني التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية الكريمة:

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الآية 23من سورة الزمر.

وأفضت دراسته إلى ما يلي:

- "**تساوي لفظة السيئات بمشتقاتها مع لفظة الحسنات بمشتقاتها**
- **تساوي عدد ألفاظ الدنيا مع عدد ألفاظ الأخرة؛**
- **تساوي عدد ألفاظ الجن مع عدد ألفاظ الملائكة؛**
- **تساوي عدد ألفاظ الملائكة مع عدد ألفاظ الشيطان**" (جبريل 2011م صفحة 49)؛
- "**وعدد ألفاظ (شهر) يرد12 مرة؛**

- **وعدد ألفاظ (يوم) يرد 365مرة** "(ساعي، 2012م، صفحة 30).

5. خاتمة: وخلاصة القول لا ندعي أننا قد أحطنا بكل السمات الإعجازية للغة القرآن الكريم ولكن نرى أن لغة القرآن الكريم لها أوجه عديدة وما أخضع جانب للدراسة إلا ووجد فيه جانب إعجازي، ففي الفصاحة والبلاغة رفيع وفي البيان بديع وفي المعاني غزير وفي الدقة عجيب، سمات من بين سمات أخرى تجلو يوما بعد يوم وأخرى لا يعلها إلا الله الذي أنزل هذا الكتاب بلسان عربي مبين.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. ابن عادل الدمشقي الحنبلي. (2011م). اللباب في علوم الكتاب (الجزء الأول). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
3. أبو البقاء الحسيني الكفوي. (1837م). الكليات (الإصدار دون طبعة). إسطنبول تركيا: دار الطباعة العامرة.
4. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (2019م). الجامع لأحكام القرآن (الطبعة الأولى، المجلد الرابع). بيروت، لبنان: دار الفكر.
5. أحمد الهاشمي. (2017م). جواهر البلاغة: في المعاني والبيان والبديع (الطبعة الأولى). المملكة المتحدة : هنداوي.
6. أحمد بسام ساعي. (2012م). المعجزة (الطبعة الأولى، الجزء الأول: ظواهر التجديد في لغة القرآن الكريم). (المعهد العالي للفكر الاسلامي) هرندن–فرجينيا المعهد العالي للفكر الاسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية.
7. أحمد فتحي رمضان الحياني. (2016م). الاستعارة في القرآن الكريم أنماطها ودلالاتها البلاغية (الطبعة الأولى). المنهل.
8. جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي. (2017م). الاتقان في علم القرآن (الإصدار دون طبعة). (ترجمة: محمد سالم هاشم) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
9. عبد الغفور محمد طه القيسي. (2012م). آيات الزمن في القرآن الكريم (الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

10.عمار ساسي. (2003م). الاعجاز البياني في القرآن الكريم (الطبعة الأولى، الجزء الأول). البليدة، بوفاريك، الجزائر: دار المعارف.

11.ليندا تركي جبريل. (2011م). نظرية الإعجاز العددي في القرآن الكريم: دراسة نقدية (الطبعة الأولى). عمان، المملكة الأردنية الهاشمية: دار المأمون للنشر والتوزيع.

12.محمد كريم كواز. (2006م). أبحاث في لغة القرآن الكريم.لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.

13.مصطفى صادق الرافعي. (2022م). إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. المملكة المتحدة: هنداوي.